3

سلطان حسين

الحاج سلطان حسين « عم جمال عبد الناصر »:

❖ كان يتسامح مع بعض الظالمين من غيرنا أما نحن فلم يكن يتسامح مع ظالم منا .. إذا حدث وتجرأ على الظلم.

❖ ذات يوم أصدر جمال أمرا باعتقال خاله بسبب ظلم وقع منه في حق أحد معارفه

❖ لقد كان حلما أسطوريا .. وحين جاء ليقضى على الظلم بدأ بأهله.

❖ حاول أحد الفلاحين أن يقبل يد جمال التي سلمته عقد الملكية ، فسحب جمال يده وقال للرجل قولته الشهيرة « ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد ».

obeikan.com

obeikan.com

حينما سألت عن بيته بأحد شوارع الإسكندرية أشار الشاب الواقف أمامي إلى عمارة قديمة ، وقال : هناك سألته أين بالضبط ؟ قال فوق السطوح!!

سلطان حسين .. عم جمال عبد الناصر يسكن فوق السطوح!

لم أتعجب لأنه يسكن فوق السطوح .. فالرجل على أية حال هو عم الرئيس الذي اشتهر بالطهارة والزهد ، وأعطى ظهره لكل مظاهر الدنيا .. ولكن تعجبت لأنه تجاوز السبعين من عمره ويستطيع ارتقاء درجات السلم الطويل حتى الطابق السادس..

لو عاش جمال عبد الناصر حتى الآن لكان قد تجاوز السبعين من عمره ولكنه لم يكن يستطيع بعد أن تجاوز الأربعين ، أن يرتقي درجات السلم في بيته المكون من طابقين فقط ..

في البداية تصورت أن اسمه سلطان حسين .. جاء على اسم سلطان مصر السابق ، السلطان حسين كامل ، وحين سألته ..

قال:

– سلطان على أسم جدي : خليل سلطان ، وبذلك يكون الاسم الكامل لابن شقيقي جمال هو جمال عبد الناصر حسين سلطان رمضان ، تنتمي عائلتنا إلي قبيلة « تميم » العربية وهكذا .. لم يكن خيار جمال عبد الناصر العربي مجرد صدفة ، ولم يكن للصدفة في خيارات عبد الناصر كلها أي وجود.

سألته :

كيف تستطيع الصعود إلى هنا ؟

قال:

– إذا لم أستطع الصعود إلى هنا فسوف أنام في الشارع .. والصعود إلى هنا ..

وأعلى من هنا أسهل كثيرا من النوم على الرصيف!.

يروي العم سلطان قصة جمال عبد الناصر .. في البداية سألته :

لماذا كان اسمه جمال ؟ يقيني أن قاموس الأسماء في الصعيد كان يخلو – حتى عهد قريب – من هذه الأسماء « المودرن » : عز العرب ، الليثي ، شوقي .. كلها أسماء مما اعتاد الصعايده تسمية أبنائهم بها ، ولهذا تردد على ذهني السؤال لماذا جمال ؟

قال العم سلطان :

– إن اسم « جمال » قصة تروى .. فقد كان لي شقيق اسمه عبد الباسط .. قتله الإنجليز في السلوم على الحدود الليبية ، وكان عمره يوم استشهاده حوالي ٢٢ سنة وحينما جاءنا خبر استشهاده جاءنا خبر ميلاد طفل جديد .. الطفل الأول لشقيقي الأكبر عبد الناصر فقال والدي « اليوم سقط لنا جمل » فقال أخي عبد الناصر : ولكن ولد لنا جمل آخر .. فأطلق عليه والدي اسم جمال في تلك اللحظة.

وهكذا عقد الموت قرانه على الحياة لحظة ميلاد جمال عبد الناصر لقد جاء إلى الحياة بدلا من عمه الشهيد الذي ذهب إلى مملكة الموت في ذات اللحظة.

و إذا كان الإنجليز قد اغتالوا عمه .. لحظة ميلاده ، فقد أقدم جمال – حين كبر – فأخذ بثأر عمه الشهيد ، فاغتال الإمبرطورية البريطانية كلها !

لم يكن ثأر شخصيا ، ولكنها لعبة القدر الذي شاء أن تكون هكذا..

إن أول ما يميز جمال عبد الناصر هو العناد وقد جاء إلى الحياة عنادا .. وحمل أسمه عنادا .. وحينما مات كان الملايين من أطفال أمة العرب يحملون اسمه .. عنادا أيضًا .

كان جملا .. أول ما يميز الجمل من صفات .. هو الصبر .. فكان صبورا في

حياته وصبورا بعد أن مات .. تحمل الكثير في حياته فصبر ، وتحمل الكثير بعد أن مات فصمد !

نبوءة .. الجد

يقول العم سلطان :

حينما كان جمال في « منقباد » بأسيوط ذهب إليه جده حسين ، وقف أمام باب المعسكر راكبا حماره ، وهو يحمل حلة أعد فيها طبخة صعيدية اسمها « القدسية » وحين رآه جمال حمله من فوق الحمار وأدخله الخيمة داخل المعسكر ، تجمع زملاؤه من الضباط .. وكان بينهم كمال حسين وعبد الحكيم عامر وأنور السادات .. انهالوا على الحلة وأتوا على كل ما فيها ، وفي نهاية زيارته طلب الجد من حفيده أن يزوره مع زملائه في « بني مر » القريبة من معسكرهم.

وبالفعل قام جمال وفي صحبته عدد من زملائه الضباط بزيارة الجد حسين في بني مر .. فاحتفي بهم الرجل العجوز احتفاءً يتناسب مع قدر إحساسه بالفخر به أمام أهل القرية كلهم وفي نهاية الزيارة طلب جمال من جده أن يدعو له فخلع الرجل طاقيته ورفع يديه إلى السماء قائلًا :

« إلهي تعيش وتحكم بر مصر ».

كان عمدة القرية – بنى مر – دائم السؤال عن جمال ، وكان يقول للجد ، إن جمال سوف يصبح ذا شأن كبير فيرد الجد على العمدة « سوف يحكم بر مصر » .. يضحك العمدة ويقول للجد مازحا : لا تكن طماعا .. سيكون عظيما لو حكم مديرية من ١٢ مديرية !!

***

المستبد العادل

كان الإمام محمد عبده ، هو أول من نادى في العصر الحديث بضرورة « المستبد العادل» لينصلح حال العباد في « قطر مصر » وقد تبني الإخوان المسلمون بعد الشيخ الإمام فكرة « المستبد العادل » و أخذوا ينادون بها في الأوساط السياسية في مصر وفي الصحف التي تعبر عن أفكارهم.

وحين جاء جمال عبد الناصر .. بالرغم من كل خلافه مع الإخوان ، حاول أن يكون الرجل « المستبد العادل » .. يروى العم سلطان حكايات حول رجل كان مستبدا .. حين يعدل .. وكان عادلا حين يستبد .

كنت أعمل في تجارة الفحم بالإسكندرية ، ولكن تدهور بي الحال ، لكساد تجارتي فطلبت من أخي عبد الناصر أن يتوسط لدي جمال ليوظفني في شركة حكومية .. وبالفعل تم تعييني في إحدى شركات البترول بالإسكندرية بمرتب يكاد يكفيني مع أولادي.

كان مدير الشركة رجلا برتبة لواء ، لا أعرف لماذا كان هذا الرجل يضطهدني ، حيث أنه كان يوقع على الجزاء بعد الجزاء لأسباب تافة .. أنا نفسي .. لم أعد أذكرها الآن .. وذات يوم ذهبت إلى ميناء الإسكندرية لأستقبل أللليثي عبد الناصر – شقيق جمال و أمين الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة في ذلك الوقت . والذي كان في رحلة طويلة خارج البلاد . وحين عدت وجدت مدير الشركة قد حولني للتحقيق بتهمة الخروج بدون إذن .. وهددني الرجل بالفصل من العمل ، وقطع عيشي .. فلم أجد مفرًا من الذهاب إلي شقيقي الحاج عبد الناصر ليتوسط لدي جمال بمنع الرجل من فصلي ، وحين عاد الحاج عبد الناصر من زيارة ابنه جمال قال لي: أن جمال قال لي أن أبلغك أنه ليس لديه الوقت ليتوسط بين موظف ومديره في العمل . وحمدت الله أن

الرجل لم يفصلني من العمل وأكتفي بخصم جزء من مرتبي.

مرة أخرى حدثت أزمة بيني وبين أخي خليل – عم جمال – بسبب مسألة خاصة وهى أنه كان يريدني للزواج من فتاة قريبة لزوجته ولكني رفضت مفضلا الزواج من ابنة خالي.. وفوجئت ذات يوم بقرار بنقلي من الإسكندرية إلى المنيا . وقد أشاع أخي خليل أن « الرئيس » هو الذي قرر ذلك ، وتعجبت لهذا القرار ، فأنا لم أفعل شيئا أستحق عليه هذا العقاب .. وذهبت إلى أخي الحاج عبد الناصر أسأله عن السبب فقال أن خليل أخبره أن هذه هي رغبة الرئيس دون أن يذكر له الأسباب فقررت تنفيذ القرار بالفعل إلى أن تحين الفرصة لقاء الرئيس وسؤاله عن الأسباب ..

وفي المنيا ، جاء الرئيس لزيارتها بصحبة عبد الحكيم عامر ، وذهبت ضمن وفد الشركة لتحيته ، وحين رآني في السرادق اكفهر وجهه غاضبا ، وتقدمت للسلام عليه فسألني : ما الذي جاء بك إلى هنا هل أنا محتاج لحراستكم ؟ .. قلت له لم آت لحراستك بل جئت تنفيذا لقرارك بنقلي .. فتعجب الرئيس وقال لم أقرر نقلك .. ثم سألني هل تريد العودة إلى الإسكندرية أو البقاء هنا .. فقلت العودة إلى الإسكندرية طبعا .. فاستصدر قرارا بنقلي .. وحين قابل عمه خليل عنفه على ذلك وقال له ساخرا .. هل أنت الريس أم أنا ؟ إذا سمعت أنك فعلت ذلك ثانية سأعتقلك !

وقد سبق لجمال أن أصدر أمرا باعتقال عمه خليل فعلاً حين كثرت الشكوى من جيرانه والمتعاملين معه في تجارته بسوء استخدامه لنفوذه ، وذات يوم اتهمه تاجر مجوهرات بأنه اشترى منه بعض المصاغ ولم يسدد الثمن فأمر جمال بتفتيش منزل عمه خليل ، ولكنهم لم يعثروا على شيء مما جاء في بلاغ التاجر ورغم ذلك فقد اقتاد عمه إلى المعتقل حتى ثبتت براءته بعد التحقيق و أن الشكوى كانت كيدية.

وذات مرة استولى خليل على شقة لمواطن يهودي بالإسكندرية عن طريق مسئول بالمحافظة فأمر جمال عبد الناصر بإعادة الشقة لليهودي وإحالة عمه وموظف المحافظة للتحقيق.

وفي إحدى المرات وصل إلى جمال خبر القبض على عمه خليل وهو يلعب القمار في أحد البيوت بالإسكندرية ومعه عدد من ضباط البحرية . فأمر جمال بحبس عمه وإطلاق سراح الضباط لأنهم حضروا في حماية « عم الريس » فمنحهم الحماية ورفض منحها لعمه.

اضرب .. ابن الأكرمين!

يروي العم سلطان قصة تشبه كثيرا قصة « ابن الأكرمين » الشهيرة التي تروى عن عمر بن الخطاب .

ذات يوم تعطلت الثلاجة بمنزل الرئيس – فطلبت زوجة الرئيس من مدير مكتبه محمد أحمد أن يستدعي لها أحدًا من شركة إيديال ليقوم بإصلاح الثلاجة.

حضر رجل عجوز إلى منزل الرئيس .. وبعد أن قام بإصلاح الثلاجة ، تقدم منه الرئيس و أعطاه خمسين جنيها ، رفضها الرجل قائلا : لا أريد فلوسا ، ولكني أريد منك أن تفرج عن ابني الذي قبض عليه مع تنظيم الإخوان المسلمين ، فاستجاب الرئيس لطلب الرجل ، و أمر محمد أحمد – مدير مكتبه – أن ينفذ ذلك على الفور.

وحين خرج الرجل من منزل الرئيس فوجئ بضابط من حرس المنزل ومعه عدد من جنود الحرس يقبضون عليه ويقتادونه إلى غرفة الحرس ويوسعونه ضربا قبل أن يفرجوا عنه في حالة إعياء كامل.

ويشاء القدر أن تتعطل الثلاجة مرة أخرى بعد فترة وتطلب زوجة الرئيس نفس

الرجل ، ليقوم بإصلاحها ولكن رجلاً آخر قام بإصلاح الثلاجة ولكنها تعطلت فور خروجه من المنزل أرسل محمد أحمد في طلب الرجل الأول .. فجاء مرتعدا ، وحين رآه الرئيس تقرب منه وسأله لماذا لا تريد الحضور إلى بيتي .. ألم أكرمك في المرة الأولى .. و أخرجت لك ابنك من السجن وأعطيتك خمسين جنيها .. ثم ترفض الحضور .. فلماذا ؟

بكي الرجل .. وسكت

اندهش الرئيس وهدأ من روعة ، وسأله لماذا تبكي ؟ فقال الرجل لقد ضربني حرسك لأني تجرأت – كما قالوا – و أبلغتك بنبأ اعتقال ابني..

أغمض جمال عبد الناصر عينه وهو يرى أثر الضرب على ظهر الرجل .. استدعي الحرس على الفور وطلب من الرجل أن يتعرف على من ضربه منهم فأشار إلى الضابط واثنين من الجنود .. أحرج الرجل حين طلب منه الرئيس أن يضربهم كما ضربوه .. رفض الرجل .. ولكن الرئيس حثه غاضبا .. اضربهم وإلا ضربتك.

ضربهم الرجل بالفعل فأخرجهم الرئيس من البيت وألحقهم بإحدى الوحدات العسكرية العادية .

يقول العم سلطان:

إن جمال كان يحب الحق دائما .. وكان يكره الظلم دائما .. خاصة إذا جاء منا نحن أهله و أقاربه ، كان يتسامح مع بعض الظالمين من غيرنا أما نحن فلم يكن يتسامح مع ظالم منا .. إذا حدث وتجرأ على الظلم.

ذات يوم أصدر جمال أمرا باعتقال خاله بسبب ظلم وقع منه في حق أحد معارفه .. وحين علم جمال بأن أسرة خاله – أبناؤه وزوجته – قد مال بهم الحال بعد اعتقال رب الأسرة .. أمر بإعطائهم خمسين جنيها في الشهر من مرتبه الخاص طوال مدة

الاعتقال.. وحين خرج قام بزيارته في منزله ، ليطيب خاطره ويطلب منه عدم العودة لمثل ذلك مرة أخرى .

وحين عرف بأن خاله هذا قد فصل من عمله .. فصلا قانونيا بسبب الغياب – طوال فترة السجن – رفض أن يعيده متجاوزا القانون . واشتري له سيارة بالقسط ليعمل عليها ويعول أسرته

هذا هو المستبد .. وهذا هو العادل

لقد كان حلما أسطوريا .. وحين جاء ليقضى على الظلم بدأ بأهله.

ذات ليلة ذهب إلي الإسكندرية لحضور عقد قران شقيقه الليثي ، وعند الباب تقدم شخص منه ليسلم عليه فانحني ليقبل يده . سحب جمال يده بسرعة متضايقا وسأل الرجل .. من أنت ؟ فقال الرجل : أنا سائق بشركة فورد أحضرت سيارة هدية من الشركة لليثي «بك » بمناسبة زواجه .. نظر عبد الناصر إلى عبد الحكيم عامر الذي كان في صحبته وقال ساخرا : اتفضل يا سيدي .. لقد أصبح الليثي «بك » و تأتيه الرشاوى .. قرر جمال الانصراف فورا وعدم حضور الحفل .. ولم تفلح محاولات المشير معه ليقبل تهنئة شقيقه .. وفي الصباح كان هناك قرار من رئيس الجمهورية بإقالة الليثي عبد الناصر من أمانة الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة وتعيين عيسى شاهين بدلا منه .. فكان قرار الإقالة هو « النقطة» التي قدمها جمال عبد الناصر لشقيقه « العريس » يوم الصباحية!

بين جمال وعبد الناصر

يروي العم سلطان حكايات كثيرة عن احترام جمال لأبيه الحاج عبد الناصر .. ردا على ما كتبه أحد الصحفيين مدعيا أن جمال كان « مفتريا علينا » وعلى والده الشيخ العجوز .. الذي كان ينحني ليقبل يد ابنه عند السلام عليه !

يقول العم سلطان:

- حين صدر قانون الإصلاح الزراعي ، قام جمال بتوزيع عقود الملكية على الفلاحين .. وقد حاول أحد الفلاحين أن يقبل يد جمال التي سلمته عقد الملكية ، سحب جمال يده وقال للرجل قولته الشهيرة « ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد ».

وبعد أن ألقي خطابه بالأزهر الشريف أثناء العدوان الثلاثي على مصر هم بالانصراف من المسجد وانحنى ليلتقط حذاءه فوجد شخصا ينحني معه ليقدم له الحذاء .. فدفعه جمال بيده بعيدًا فوقع الرجل .

وفي أول مرة يزور فيه عمه طه – وهو العم الفلاح – اقتاده من يده نحو الحرس وهو يرتدي زيه الصعيدي التقليدي .. وقال لرجال الحرس هذا عمي طه .. شقيق والدي !

لم يكن جمال يحب أن يقبل يد أحد .. أو أن يقبل هو يده أحد بل كان يتضايق لرؤية ذلك كثيرا .. ويعتبره من مظاهر الاستعباد التي يكرهها .. كان يحترم أباه ، وكان أبوه يحترمه وكان حريصا على استرضائه ويقول له « ادع لى يا أبي » فكان الحاج عبد الناصر يكثر له من الدعوات

ذات مرة ذهب الحاج عبد الناصر إلي بيت جمال .. ليطلب منه التوسط لدي مدير الكلية الحربية ليقبل أوراق ابنه مصطفي – أخو جمال – الذي كان قد تجاوز سن القبول بخمسة أيام فقط .. رفض جمال طلب والده لأنه يتعارض مع القانون .. غضب الوالد من ابنه جمال وترك البيت فورا .. جري وراءه جمال محاولا استبقائه للتفاهم ولكن الوالد رفض مصرًا على ترك المنزل .. جمع جمال مستشاريه العسكريين وطلب منهم حلا للمشكلة فأشاروا عليه بإلحاق أخيه مصطفي بكلية

الطيران لمدة عام ثم تحويله للكلية الحربية وكان القانون يسمح بذلك.

وهكذا كان حرص جمال على استرضاء والده .. بنفس قدر حرصه على إرضاء ضميره..لم يكن جمال مريضًا بالسكر .. بل كان مريضا بنقاء الضمير . إن إصراره على إرضاء الضمير .. كان يبلغ أحيانا حد الشطط ذات يوم من عام ٦٥ رزقني الله – يقول العم سلطان – بولدين توأم هما أسامة وخالد .. ووجدت جمال يقول لى مازحا : أطالب الناس حتى بح صوتي بتحديد النسل وتنظيم الأسرة .. وأنت يا عمي بتخلف بالجوز .. أودي وشى من الناس فين !

ذات يوم – يقول العم سلطان – حين كنت أعمل بفرع شركة البترول بالمنيا جاءني مدير الفرع وقال لي أن للشركة أموال متأخرة لدي الحاج بكري عامر – عم المشير – ولا يستطيع أحد أن يطالبه بها .. فذهبت إلى الرجل – ولم يكن يعرفني – وطالبته بأموال الشركة المتأخرة لديه .. تعلل ببعض الظروف .. فأمهلته – بلهجة غير ودية . فاستنكر الرجل ذلك .. وقال كيف تحدثني بهذه الطريقة أنت مش عارف أنا مين ؟ فقلت له .. وأنت عارف أنا مين ؟ وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي استخدم فيها مثل هذه العبارة .. وسمحت لنفسي باستخدامها فقط من أجل الصالح العام واسترداد أموال الحكومة للشركة التي أعمل بها .. وبالفعل تم ذلك بعد أن تعارفنا عم المشير وعم الرئيس.

عايز شقة!

يقول العم سلطان :

– لقد خرجت على المعاش براتب لا يزيد على خمسة و أربعين جنيها ولدي أولاد كثيرون في مراحل التعليم – وعندي ابنه وحيدة – هدي – مطلوبة للزواج ولا أملك تجهيزها .. أقيم في شقة فوق السطوح وهي باسم زوجتي لأن والدها

استأجرها لها عند زواجي منها – أي أنني – عم جمال عبد الناصر – ولا أملك شقة باسمي في جمهورية مصر العربية .. ولا شقة في الطابق الخامس .. وأنا مريض بالسكر .. وكل ما أرجوه فيما يتبقى لي من أيام أن أجد شقة بالطابق الأرضي ، فلم أعد أستطع – وقد تجاوزت السبعين- أن أصعد السلم إلى الطابق الخامس .

لقد كان عندي منزل في الإسكندرية في بداية الثورة ، وقد أبلغني شوقي عبد الناصر – شقيق جمال – أن الرئيس لا يريد أن يمتلك أحد من أسرته شيئا .. فبعت المنزل وصرفت ثمنه على تعليم أبنائي وتكاليف المعيشة وقد منح الرئيس السادات لشقيقي عطية أرضا ليقيم عليها منزلا في « بني مر » أتمني من الله شقة بالدور الأرضي.. كذلك أتمني أن نتمكن من بناء مسجد في «بني مر» باسم جمال عبد الناصر ، والأسرة متبرعة بالأرض .. ولكنها لا تملك تكاليف الإنشاء .. نرجو أن يتبنى المسئولون أو المؤمنون بإخلاص بمبادئ عبد الناصر مشروع إقامة مسجد باسمه في «بني مر » .